الكعب العالي

يسرا عيد حسين

{رفات عمر}

ماذا بعد يا مراد؟! ماذا بعد؟!

الحياة تجري في السباق وأنت خلفها تلهث!

لابد من إيجادها واختطافها من بين صفوف المعجبين!

ولكن، أين هي؟! وكيف أجدها؟! وهل ستعجب بي كما تمنيت؟!

أسئلة طالما دارت في رأسه، كلما أطلق لخياله العنان، كلما أراد أن يستر عورة أيامه بأوراق المال المسلوب من صفصاف الغربة، فيجد أمه تحدثه بصوتها المتهدج، وتهدم كل قصور أحلامه ناصحة إياه مراراً وتكراراً دون أن تجني من نصحها له ثمرة انتباه أو طاعة، لأن أقصى طموحه يتمثل في الوقوع في شباك الصياد، والاستئثار بالأميرة بعيدة المنال.

- يا ابني، فقيرة يتيمة أحسن ألف مرة من غنية لئيمة، شوف الدنيا حواليك يا مراد واتعلم من غلطات الناس يا ابني، قدامك حسن السني وإبراهيم

معروف اللي اتقطعوا من أهلهم ومعارفهم نسيوا حبايبهم لأجل ما ترضى عن كل واحد فيهم بنت الأكابر، ولا المهندس عارف الألفي اللي عاش لايص بعياله بعد ما السنيورة خلعته.

- أنا عارف مصلحتي يا أمي، ومستحيل أغلط غلطاتهم.

- ربنا يكتب لك الخير يا ابني.

- ربنا يبارك فيك يا أجمل أم، ادعي لي ألاقيها بس.

- يا رب يكرمك باللي تصونك وتحطك في ننى عينها يا ضنايا.

- وتكون أحلى وأغنى مليون مرة من اللي راحت.

- لسة يا ابني شايل في نفسك من اللي حصل، ده نصيب، واللي يرضه بالمكتوب يسلم من المستخبي، وإنت ما شاء الله، عملت فلوس وبقيت قيمة وسيما وألف من تتمناك يا مراد.

- بس أنا يا أمي مش بتمنى غير واحدة تنسيتي، واحدة جمالها يسمح لها إن كعب جزمتها يدوس على جمال كل بنت في البلد، وغناها يخلي كل عين تبص في الأرض لو حد قال اسمها، تكون ملكة وهما خدم ليها، وعهد عليا لأوفر لها كل اللي تتمناه، بس تشفي غليلي.

- ولو إني مش عاجبني كلامك، بس ربنا يكتب لك الخير يا ضنايا.

كان ذلك الابن البار العنيد يؤمن بأن لكل شخص زاوية رؤية توجهه، تتسع تلك الزاوية وتضيق بحجم تجربة صاحبها؛ لذلك أرهقه البحث عن فتاة أحلامه، أنف وتأفف من محاولات أمه في إرشاده نحو اختياراتها.

ذات مساءٍ، خرج برفقة أصدقائه كي يسهر معهم سهرة الوداع قبل سفره، فقد أوشكت إجازته على الانتهاء.

جلسوا في أحد المطاعم يتناولون العشاء، وإذ برائحة تُسكر المارة والجلوس، العطر يقترب. والحذاء الفضيّ ذو الكعب العالي يحدث لوناً موسيقياً أشبه بضربات دفٍ يخترق آذان القلوب.

وإذا بها فتاةٌ خمريةُ اللون ترتدي أغلى ثيابٍ من أحدث صيحات الموضة، تحمل في يدها حقيبة تشبه صندوق المجوهرات بملمس خزفي ولون يتوافق مع حذائها ذي الكعب العالي. اتجهت نحو طاولة بالقرب منه، وجلست تنتظر شخصاً ما، ازدادت ضربات قلبه، ذهب إلى الخارج بالقرب من باب المطعم، وأرسل رسالة لأحد أصدقائه الجلوس يطلب منهم فيها أن يثيروا غضبها؛ كي يبرز لها في صورة الشهم النبيل ويظفر منها بكلمة تطمئن قلبه.

بدأ الصديق بتنفيذ خطة صديقه، فغمز أحد الجلوس قائلا:

- فات الميعاد يا خالد.

رد عليه خالد ساخراً: انزل بثورة الشك يا ابني.

حينها قهقه الجلوس فصاحت بهم غاضبة: أوباش.

رد عليها أحدهم: أدينا قاعدين عشان نشوف سمو الأمير اللي سايبك ملطوعة من غير حس ولا خبر.

- حقير، قذر.

في أثناء تلك الضجة ظهر البطل الهمام ناهراً أصدقاءه عاتباً عليهم فعلتهم التي دبرها.

- فيه إيه يا شباب؟! إيه اللي بتقوله ده يا خالد؟! عيب كدة يا طارق، ترضى الكلام ده يتقال لأختك؟! أنا آسف بالنيابة عنهم يا آنسة.

سنحت الفرصة للحديث والاستجواب، بل والسماح بوسائلِ للتواصل إلى أن جاءت رفيقتها وانصرف كل إلى مأواه.

تمت الزيجة بعد أول إجازة له، عاش أياماً ولياليِ في هناءةٍ ودعة، ثم سافر قاصداً عمله.

عقب استقراره في بلاد الغربة هاتفته أمه تهنئه بحمل زوجته الجميلة، تعجب في قرارة نفسه وتساءل عن سبب كتمان زوجته هذا الخبر عنه؛ فقد أنهى مكالمته لها قبل اتصال أمه ولم تخبره شيئاً.

بعدها بقرابة شهرٍ تحقق من نبأ حملها، ولكن بعدما سقط الجنين، حزن كثيراً على فرحته التي لم تكتمل؛ لكنه حمد الله على نعمه، ورضي بالمكتوب.

طالت أيام الغربة على غير عادتها، فكم كان مشوقاً لرؤية زوجته الجميلة الحسناء!

عاد إلى وطنه بعدما جمع من المال ما يكفيه لإقامة مشروع يكفل له رغد الحياة، وكانت أول من نوى لقاءها أمه، فقد تاق لمجلسها وحديثها ونصائحها التي يلقى بجلها عرض الحائط ويكفيه فقط الاستماع.

في ثنايا الحديث اكتشف أن زوجه المصون هي من أسقطت جنينها رغبة في الحفاظ على مظهرها، كما أنها تشعر بالخزي من تقاليد أمه وثيابها ومنزلها فتأبى أن تزورها، لم تزرها مرة واحدة منذ سافر ابنها.

أدار الحديث في رأسه ثم رسم خطة تخالف خطته مع أصدقائه بالمطعم، أودع حقائبه بمنزل أمه، واتخذ له حقيبة واحدة بها ملابسه وبعض الهدايا الصغيرة التي لا تقنع زوجته المتعالية، وصل إلى شقته فوجدها بانتظاره،

حياها وهو في أشد حالات البكاء، سألته عن السبب، فأخبرها بفقده وظيفته وأمواله، وسألها عن موقفها تجاه أزمته تلك، وهو يعلم يقيناً كل حرف بنموذج إجابتها.

إنها ترتدي الكعب العالي حفاظاً على مظهرها العام رغم ضرره البشع، لكنها لن تحتمل ولو للحظة واحدة أي خدش بهذا المظهر.

وقد كان ما توقع!

أيام قلائل كانت كفيلة بإصلاح ما أفسدته آراؤه، لقد تنازل عن عنده، واختار أخرى بعين عقله لا عين بصره.

***